حكاية سليم

رحلة السقوط والصعود

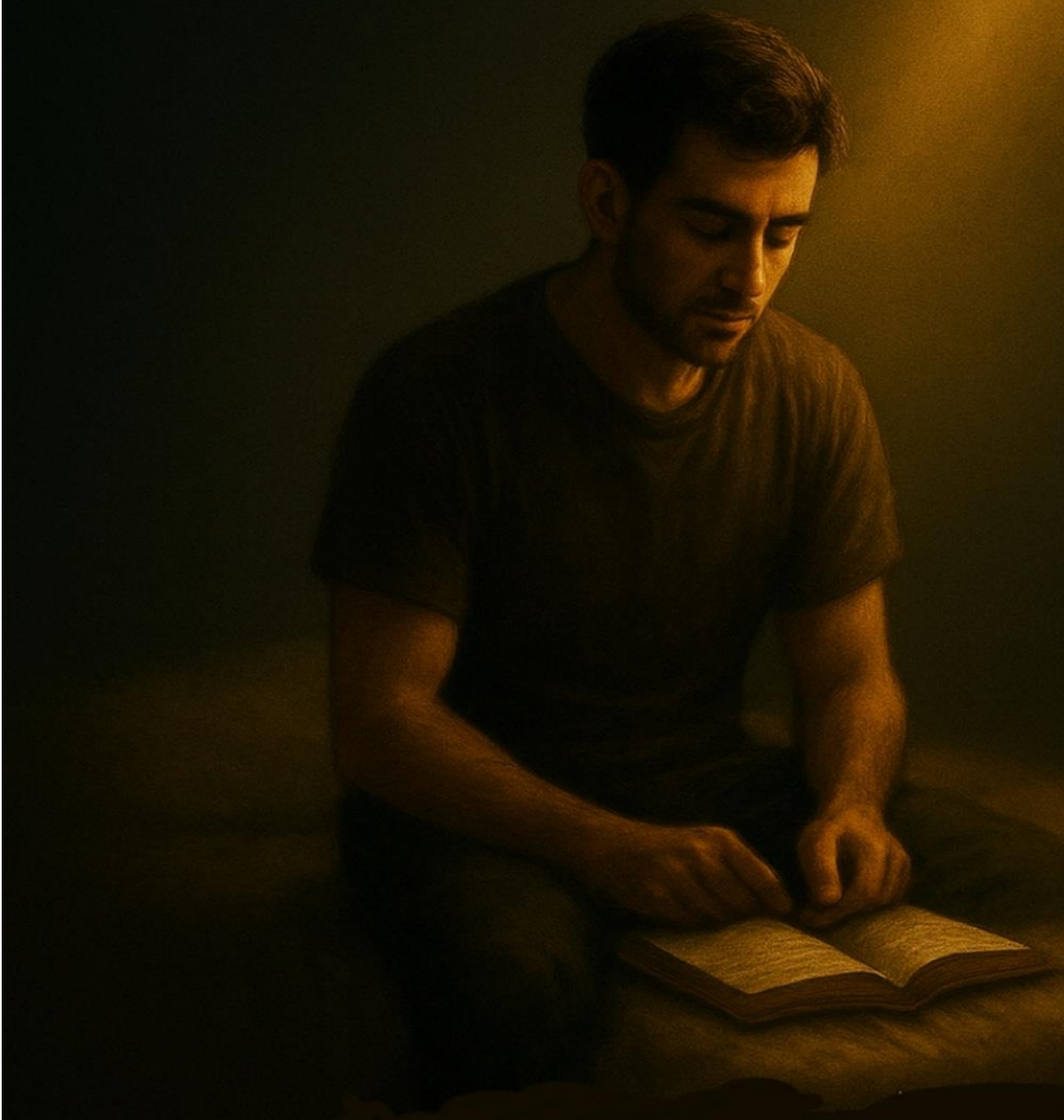

مصطفى محمد عبدالعزيز نجم

Copyright and distribution rights reserved ©

الطبعة الثانية

من سلسلة روايات مصطفى محمد عبدالعزيز نجم

١٤٤٤هـ /2025 م

ISBN : 979-8-23-258447-4

جميع حقوق النشر والتوزيع محفوظة ©

دار مبدع للنشر ©

هاتف : +201018243643

Emil :DarMobd2

حكاية سليم رحلة السقوط والصعود

نشر وتوزيع

دار مبدع للنشر والتوزيع

المقدمة

الرواية ليست مجرد سرد لمسيرة نجاح؛ بل تحليل عميق لهشاشة الإنسان، وكيف يمكن للجرح أن يصنع طريقًا، وللوحدة أن تكون معلمًا، وللنجاح أن يتحول إلى لغز... وربما إلى فخ.

الفصل الأول: رائحة السقوط الأولى

كانت الساعة تشير إلى الثامنة صباحًا، والجوّ الخريفي يلف الجامعة بملمسٍ ناعمٍ كالحزن. على الرصيف المواجه لكلية التجارة، جلس "سليم" وحده، نفس المكان الذي اعتاد أن ينتظر فيه المحاضرات، والناس، وربما قَدرًا لا يأتي.

وجهه شاحب، وملامحه فيها انكسار لا تصنعه الظروف وحدها... بل نظرة واحدة من "ليلى" كانت كفيلة بتجفيف النبض في عروقه. كانت تمرّ بجواره دون أن تنظر، بابتسامة لا تخصّه، وضحكة لا يعرف إن كانت بريئة أم قاسية عمدًا.

سليم لم يكن يريد أكثر من "نظرة". لا حبًا مبتذلًا، بل اعترافًا بأنه موجود، بأنه لا يشبه الأرض التي يدوسها الآخرون بلا انتباه. كان يراها "وطنًا"، وكانت تراه...؟ لا شيء. مجرد زميل خجول يطرح أسئلة كثيرة في المحاضرات وينزل رأسه إذا اقترب أحد.

في أحد الأيام، بعدما جمع كل شجاعته، كتب لها رسالة قصيرة:

"أنا مش عايز حاجة... بس لما بشوفك بحس إن الدنيا ممكن تكون أهدى. ولو حتى للحظة."

لم ترد.

لكن بعد يومين، وجد الرسالة نفسها وقد أُعيدت إليه في ظرف مفتوح، وعليها بقلم أحمر:

"ما تبقاش عبء على نفسك، كفاية كده."

ظل سليم يحمل الظرف في جيبه أيامًا، لا ليقرأه، بل ليتذكر كيف يمكن لجملة واحدة أن تُعيد ترتيب الروح نحو الأسوأ. لم يكن الرد هو ما أوجعه فقط، بل أن يكون الرفض مكتوبًا بذلك الخط الرقيق الذي حلم يومًا أن يرى اسمه به.

في الليل، كان يسند رأسه إلى الجدار في غرفته الضيقة بحي "القلعة"، يسمع صوت أنفاس والدته وهي نائمة بصعوبة على السرير المقابل، ويهمس كأنه يعاتب الهواء: "ليه حتى الحلم بقى مؤلم؟"

كل شيء من حوله كان يوحي بالسقوط: بلاط قديم مكسور، حوائط متآكلة، رائحة طعام بائت تمتزج برطوبة الجدران. لكنه لم يسقط دفعة واحدة. لا أحد يسقط هكذا. السقوط الحقيقي يحدث ببطء... بنظرة، برسالة، بكلمة حمراء.

في اليوم التالي، حين دخل المدرج، لم يبحث عن ليلى كعادته. جلس في آخر مقعد، وفتح كراسته، لكنه لم يكتب شيئًا. ترك الصفحة الأولى فارغة، وعنوانها: "لما كل حاجة بتبدأ من نقطة ضعف... بتنتهي فين؟"

بدأت المحاضرة، وبدأ معها شيء داخله في الانطفاء.

لكن ما لم يعرفه سليم... هو أن ليلى كانت قد كتبت تلك الجملة بعينين دامعتين، وبقلب يحاول أن يتقن القسوة أكثر مما يحتمل.

لم يكن سليم ضعيفًا بطبعه، لكنه وُلد وفي عينيه أسئلة أكثر من الإجابات. أبوه غاب وهو لم يكمل عامه الخامس، اختفى في إحدى رحلات الهروب من الفقر إلى الخليج، تاركًا وراءه وعدًا وهاتفًا لا يرن. أمه، امرأة بسيطة، خياطة في حواري السيدة، علمته أن الصبر فضيلة، لكن لم تخبره أبدًا كيف يتعامل مع الوجع عندما لا يكون له سبب واضح.

منذ صغره، كان يشعر بأنه لا يشبه من حوله. لا في لغته، ولا في خوفه من الآخرين، ولا في طريقته في التحديق في السماء طويلًا دون سبب. في المدرسة، سُخر منه لأنه لا يلعب الكرة، ولأنه يتلعثم إذا طُلب منه أن يقرأ بصوت عالٍ. لكنه كان ذكيًا... ذكيًا بشكل يزعج من لا يملك العمق، ويُرهق من يملك القلب.

في مرة، سألته أمه: "مالك يا سليم؟ ساكت كده ليه؟" فأجاب وهو ينظر إلى الأرض: "حاسس إني تقيل على الدنيا، كأني ماكنتش المفروض أكون هنا."

كبر سليم وهو يحاول أن يصير خفيفًا. أن يمشي على أطراف روحه حتى لا يُحدث ضجة، أن ينجح في دراسته ليصير شيئًا، ليصير أحدًا. وكان دخوله الجامعة بمثابة أول انتصار حقيقي... لكنه لم يعلم أن الهزيمة الحقيقية تنتظره هناك.

ليلى لم تكن السبب، لكنها كانت المرآة التي رأى فيها كل ضعفه القديم. نظرتها لم تُهمله، بل أكدت له أن العالم لا يرى من يشبهه، لا يلتفت إلا لمن يملك اللمعان... وهو، في عينيها، لم يكن أكثر من ظل.

ومن هنا، بدأت فكرة السقوط... لا من عينيها، بل من نفسه.

الفصل الثاني: شقوق الضوء

مرّ أسبوعان على الرسالة، لكن الزمن عند سليم لم يعد يُقاس بالأيام. صار يقاس بمدى قدرته على التنفس دون أن تلسعه الذكرى، وبعدد المرات التي ينجح فيها في الظهور عاديًا أمام الآخرين.

في صباح رمادي جديد، وبينما كان يجلس في المكتبة، لا يقرأ ولا يكتب، فقط يراقب ذرات الغبار وهي ترقص في شقوق الضوء المتسللة من النوافذ، اقترب منه صوت ناعم:

"إنت اسمك سليم، صح؟"

رفع عينيه ببطء، فوجد فتاة لا يعرفها. كانت ترتدي وشاحًا رماديًا، وفي عينيها لمحة فضول، أو شفقة، أو شيء بينهما.

"آه... أنا سليم."

"أنا نهى... كنت قاعدة وراك في محاضرة د. منى، وشفتك يومها سايب المحاضرة فجأة. إنت كويس؟"

سليم لم يعتد هذا النوع من الأسئلة. لم يعتد أن يلاحظ أحد غيابه أصلًا. شعر أن قلبه يرفض التصديق، وعقله يحذر: لا تفتح الباب.

"آه، كنت تعبان شوية."

نهى لم تُلح. ابتسمت ابتسامة قصيرة، ثم قالت: "لو احتجت حاجة... أنا عادةً بكون هنا كل يوم. سلام."

وغادرت كما جاءت... خفيفة، غير مُلحّة. لكن سليم ظل ينظر إلى المكان الذي كانت تقف فيه، كأن أثر وجودها ظل معلقًا في الهواء.

لم يكن يعرف من هذه الفتاة، ولا لماذا اهتمت. لكنه أحس بشيء خافت بداخله يُفتح، شيء يشبه النافذة الصغيرة التي تسمح للهواء بالدخول في غرفة خانقة.

لكن مع كل شقّ ضوء، هناك ظلّ يتمدد خلفه.

في تلك الليلة، عاد إلى غرفته، وأخرج الرسالة القديمة من الدرج، قرأ جملة "ما تبقاش عبء على نفسك" مرة أخرى... ثم مزّق الورقة إلى أجزاء صغيرة، ونثرها من الشباك كأنها رماد جنازة لا يعرف صاحبها.

وفي صمته، ترددت كلمات لم ينطقها:

"أنا مش عبء... أنا جرح، والجرح ما بيموتش، بس بيغير شكله."

الفصل الثالث: محاولة للنجاة

نهى لم تكن تقتحم، كانت تظهر وتختفي كأنها تسير بحذر حول حواف جرح لا تجرؤ على لمسه. وفي كل مرة تتحدث فيها إلى سليم، كانت تترك شيئًا يشبه الطمأنينة وراءها.

في إحدى الأمسيات، وجدته وحده على أحد مقاعد الحديقة الصغيرة داخل الحرم، يحمل كتابًا مفتوحًا لكنه لا يقرأ. تقدمت نحوه وقالت:

"واضح إنك بتحب الكتب، بس ما بتقرأش منها حاجة."

ابتسم سليم لأول مرة منذ أسابيع، وقال: "يمكن بحب شكل الكتب أكتر من مضمونها، بيبانوا كأنهم فاهمين، ساكتين، وبيستحملوا."

جلست بجواره بهدوء، وسألت: "أنت بتستحمل إيه، سليم؟"

صمت. سؤالها لم يكن فضوليًا... كان صادقًا. وكان خطيرًا.

نظر أمامه طويلًا قبل أن يجيب: "بستحمل إني مش لاقي لي مكان. لا في الناس، ولا في قلبي."

أغمضت نهى عينيها للحظة، وكأنها فهمت ما لم يُقال. ثم قالت بهدوء: "أوقات المكان بيتخلق لما حد يصدق إنك تستاهله."

هذه الجملة لم تكن عظيمة، ولا فلسفية. لكنها أصابت سليم كضوء صغير وسط ظلام دام لوقت طويل. هل يمكن فعلًا أن يصدقه أحد؟ أن يراه لا كظل، بل كإنسان من لحم ونبض؟

مرّت الأيام، وبدأ سليم يعود شيئًا فشيئًا إلى جسده. صار يشارك قليلًا في المحاضرات، يتحدث مع نهى أكثر، يضحك أحيانًا. لم يكن حبًا، ولا حتى صداقة واضحة... كان نوعًا من المشاركة الصامتة في حرب داخلية.

لكن هناك شيء واحد لم يتغير: ليلى.

كانت تمرّ أمامه أحيانًا، تضحك مع أصدقائها، تتجاهله كأن بينهما فراغًا لا يمكن اختراقه. وسليم... كان يحاول ألّا ينظر، لكنه دائمًا يفشل.

وذات مساء، بينما كان يقف عند بوابة الجامعة، سمع ضحكة مألوفة خلفه. التفت سريعًا.

كانت ليلى.

لكنها لم تكن وحدها... كانت تسير بجوار شاب، يضحكان سويًا، يداً بيد.

ابتسم سليم.

لكن في عينيه... عاد كل شيء إلى نقطة البداية.

الفصل الرابع: ما لا يُقال

في صباحٍ بارد من أوائل ديسمبر، وبينما كان سليم يتجه إلى المكتبة كعادته، أوقفه زميل قديم من الحي، اسمه "عمرو"، لم يكن يراه كثيرًا داخل الجامعة، لكنهما تشاركا طفولة قصيرة قبل أن تتفرّق طرقهما.

"يا سليم، تعالى دقيقة، في حاجة لازم تعرفها."

ظن سليم أن الأمر بسيط. ربما شائعة، أو طلب مساعدة دراسية. لكن ملامح عمرو لم تكن عادية، وعيناه فيها شيء من التردد والقلق.

"أنا مش عايز أحرجك... بس أنت تعرف نهى من إمتى؟"

سليم تلبّك، ثم قال: "يعني... من شهر كده. ليه؟"

اقترب عمرو أكثر، خفّض صوته، وقال:

"أخويا كان في كلية حقوق... وعارف البنت دي. هي مش مجرد طالبة هادية زي ما بتبين. كان ليها قصة شهيرة من سنتين. حكاية انتهت بانتحار واحد اسمه كريم... حبه بجنون، وهي... لعبت بيه."

الهواء حول سليم تغيّر.

"إيه؟!"

"أنا مش بحكم عليها، بس بقولك احذر. البنت دي وراها وجع... أو يمكن هي الوجع نفسه."

تركه عمرو وذهب، كأنه رمى حجراً في بركة راكدة. وسليم وقف مكانه، لا يعرف من أين يبدأ الشك.

في المساء، جلس مع نهى كعادته. كانت تضحك، تحكي له عن والدها المريض وعن أختها الصغيرة التي ترسم على الحيطان. لكنه لم يسمع شيئًا.

كان يرى في عينيها سؤالًا لم يطرحه، ووراء ابتسامتها احتمالًا مظلمًا لم يكن مستعدًا له.

وحين قررت أن تنهض، أمسَك يدها، لأول مرة.

"نهى... أنتي عمرك خذلتي حد بيموت فيك؟"

تجمدت. ابتسامتها تلاشت.

"ليه بتسأل؟"

"فيه حد... قال إنك كنت السبب في موت كريم."

سقط الاسم كالصاعقة. رأى في عينيها ما لم يكن يتوقعه.

ليست الدهشة.

بل الذنب.

نهى لم تتكلم فورًا. نزعت يدها من يد سليم ببطء، كمن يسحب نفسه من نار قديمة. ثم جلست مجددًا، ووضعت كفيها على ركبتيها، تنظر أمامها في الفراغ.

"أنا ما كنتش السبب في موته... بس كنت السبب في إنه يتهز."

سليم صمت، لم يقاطع.

"كريم كان زميلنا في دفعة تانية حقوق... من النوع اللي بيحب بزيادة، ويشوف فيك كل حاجة، حتى اللي مش موجودة. وأنا... في وقتها كنت بمر بحالة غريبة، تعبت من إني دايمًا البنت اللي بتتألم في السر، فقررت أبقى قوية. جامدة."

تنفست بصوت مسموع.

"وافقت أخرج معاه، مش عشان بحبه، لكن عشان أحس إني مش لوحدي. ولما بدأ يتعلق زيادة... خوفت. انسحبت. مرة واحدة. من غير تفسير."

سليم كان يستمع كأنه طفل يقرأ نهاية قصة لم يعرف بدايتها.

"وبعد شهرين... وصلني خبر إنه رمى نفسه من فوق سطح بيتهم. قالوا لأمه إنه كان بيعاني من اكتئاب من زمان، وإنه كتب رسالة صغيرة بيقول فيها: مش ناقصني غير إنها قالتلي أنا السبب."

نهى نظرت إليه مباشرة لأول مرة.

"وأنا ما قلتش. ولا حتى كنت أعرف إنه تعبان للدرجة دي. بس الناس بتحب تخلق قصة. وأنا بقيت بطلتها الغلط."

سليم لم يعرف بماذا يجيب.

في داخله، شيء يريد أن يصدقها. وشيء آخر... يُعيد إليه صوت ليلى، وظلها، والخذلان الذي لا يُنسى.

"بس أنتي كملتي حياتك بعد كده، عادي."

أومأت نهى ببطء.

"لا، مكمّلتش عادي... أنا لحد النهارده بنام وأقوم على صورته في دماغي. بس في فرق بين إنك تكون مذنب، وإنك تكون إنسان اتصرف غلط من كتر وجعه."

سليم شعر بنفسه يعود إلى الوراء. إلى اليوم الذي أعادت فيه ليلى رسالته بجملة واحدة. إلى الشعور بأنه عبء.

ربما كلّنا نحمل خطايانا، لكن البعض يختار أن يدفنها... والبعض الآخر، مثل نهى، يفتح الكفن ليريك الجثة.

وقبل أن تبتعد، قالت بصوت هامس:

"أنا جيت ناحيتك لأني شفت فيك اللي زمان كان فيّ... كنت فاكرة ممكن نخف سوا."

وغادرت.

وبقي سليم، في مواجهة حقيقية لأول مرة: ليس مع نهى، ولا مع ليلى... بل مع الجرح الذي لا زال ينزف، ولم يسأله أحد عنه يومًا.

الفصل الخامس: إعادة تشكيل

بعد حديثه مع نهى، لم يذهب سليم إلى البيت. مشى لساعات، يدور في شوارع وسط البلد بلا وجهة. كان يشعر كأن جسده يمشي، بينما عقله يعيد ترتيب مشاهد متفرقة: رسالة ليلى، دمعة نهى، ضحكة كريم الأخيرة التي لا يعرفها لكنه تخيلها كثيرًا.

جلس على مقعد صدئ في ميدان مجهول، والناس تمرّ حوله كأنهم أسراب من زمن آخر.

هناك، بدأ لأول مرة يسأل نفسه سؤالًا مختلفًا: "ليه أنا دايمًا الضحية؟ هو أنا فعلًا كده؟ ولا حبيت أصدق ده عشان ما أحاولش أتغير؟"

هذه الفكرة كانت كالمسمار، تدخل ببطء لكنها مؤلمة. هل عاش عمره يبحث عن الحنان لأنه يخشى أن يُخلق من جديد؟ هل كان يتمسّك بالحزن كغطاء يحميه من مسؤولية النهوض؟

في اليوم التالي، دخل قاعة المحاضرات قبل الموعد. جلس في الصف الأمامي. فتح دفتره. دوّن الملاحظات. ولأول مرة، حين دخلت ليلى إلى القاعة، لم يرفع عينيه نحوها.

وحين خرج، لم يعد ينتظر على الرصيف المواجه لكلية التجارة.

عاد إلى البيت. فتح خزانته القديمة. أخرج أوراقًا كثيرة كتب فيها قصائد مبتورة، وخطابات لم يُرسلها، وصفحات كان يعبّر فيها عن وحدته كأنها دين يستحق السداد.

جمعها كلها. ووضعها في كيس بلاستيكي أسود. نزل إلى الشارع. ورماها في صندوق القمامة.

لم يكن انتصارًا. بل كان اعترافًا.

أنه تعب.

أنه يريد أن يبدأ من مكان لا يحمل وجه أحد.

وفي الليل، كتب لأول مرة شيئًا جديدًا:

"أنا كنت ظل، لكن مش معنى كده إني لازم أفضل كده. يمكن ماكنتش ضوء لحد، بس هحاول أبقى نور لنفسي الأول."

لم يكن يعرف إلى أين سيأخذه هذا الطريق.

لكن سليم، لأول مرة، لم يكن خائفًا من الطريق.

الفصل السادس: ملامح أخرى للنجاة

بدأ سليم يُغيّر روتينه خطوة بخطوة. لم يعد يذهب إلى الجامعة فقط ليؤدي دوره كطالب صامت. صار يدخل المكتبة، لا ليراقب الغبار، بل ليقرأ فعلًا. يبحث في كتب علم النفس عن "الذات الجريحة"، في الفلسفة عن "معنى الإنسان"، حتى في الأدب عن أبطال لم يكونوا خارقين، لكنهم كانوا صادقين في محاولتهم للبقاء.

بدأ يكتب. لا رسائل لليلى، ولا خواطر حزينة. بل ملاحظات. أفكار. محاولات لفهم ما جرى له، وما يجري فيه.

وفي أحد الأيام، وبعد انتهاء إحدى المحاضرات، اقترب منه دكتور يُدعى "شاكر"، أستاذ مادة الفكر المعاصر، وقال:

"يا سليم، أنا لاحظت إجاباتك مؤخرًا. فيها عمق ما كانش ظاهر قبل كده. عندي مشروع بحث صغير عن الهوية النفسية للطلبة في سنّك، تحب تشارك فيه؟"

كانت هذه هي المرة الأولى التي يشعر فيها سليم أنه مرئي، ليس كزميل خجول، ولا كظل عابر، بل كإنسان لديه ما يضيفه.

"أكيد يا دكتور... يشرفني."

بدأ سليم العمل في المشروع. انشغل. كتب. قرأ. تأمل. بدأ يجد لذّة في الإنجاز الذي لا ينتظر تصفيقًا.

لكن...

الحياة لا تترك من يهرب منها بسهولة.

في نهاية أحد الاجتماعات البحثية، وبينما كان يرتب أوراقه، دخلت فتاة إلى القاعة.

صوتها كان كافيًا ليجمّد الهواء من حوله.

"دكتور شاكر؟ حضرتك موجود؟"

رفع سليم عينيه.

ليلى.

لكن هذه المرة، لم تكن تضحك. لم تكن متألقة. كانت منهكة، بملامح باهتة، كأن الحياة أخذت منها شيئًا.

تجمّدت عيونهما للحظة.

"أنت؟" قالتها ليلى بدهشة صادقة، كأنها لم تكن تتوقع أن تراه هنا، في هذا المكان، في هذا السياق.

سليم لم يجب.

لكن للمرة الأولى... لم يشعر أنه الأقل.

الفصل السابع: الحافة الأخرى

لقاءه المفاجئ بليلى لم يحرّك فيه الغضب، ولا الحنين. فقط هدوء غريب، يشبه من ينظر إلى جرح قديم بعدما اندمل. لم يقترب، ولم يهرب. فقط أنهى أوراقه وغادر.

في الأيام التالية، استمر سليم في العمل على مشروعه البحثي، وبدأ يكتب مقالات قصيرة على مدونة صغيرة أنشأها بعنوان: "مسودّات رجل كان يظن أنه شبح". لم يكن يتوقع أن يقرأها أحد. لكنه كتب. كل مساء. بلا توقف.

وفي إحدى المرات، وصله تعليق من قارئ مجهول:

"أنت بتكتب اللي مش بنعرف نقوله، كمل."

هذه الجملة كانت صغيرة، لكنها أحدثت فرقًا. فكر في أن يحوّل خواطره إلى سلسلة تدوينات جادة. راجع صياغته، نقّحها، بدأ يقرأ عن مهارات الكتابة، وكيفية التعبير بوضوح دون أن يفقد صدقه.

ثم، جاء عرض غير متوقّع.

دكتور شاكر، بعد أشهر من التعاون، طلب لقاءه على انفراد:

"سليم، أنا بجهّز ورشة كتابة نقدية للطلبة المهتمين، وبصراحة شايف إنك ممكن تساعدني في إدارتها. مش بس كطالب... كصوت."

صمت سليم. تردّد.

"أنا؟ أساعد حضرتك؟"

"أيوه، ليه لأ؟ إنت بتفهم، وبتحس، وبتعرف تعبّر. وده قليل."

قبِل سليم.

وبدأ يدير أول مجموعة قرائية تحت إشراف أستاذه. خمس طلاب. موضوعات عن العزلة، والمجتمع، والهوية. صار له صوت مسموع. لا كخطبة، ولا كنقد جارح، بل كوجود واضح... ناضج.

ورغم ذلك، ظلّت عيون ليلى تلاحقه من بعيد. كانت تراه. تتابعه. تحاول أحيانًا السلام. لكنه لم يكن غاضبًا... فقط تجاوزها.

ذات مساء، بينما كان يحضّر لجلسة نقاشية عن "الخذلان وصناعة الذات"، كتب في دفتره:

"في ناس بيكسرونا عشان نشوف نفسنا من زاوية تانية. أصعب، بس أوضح. الشكر مش ليهم... الشكر لربنا اللي خلانا نقوم، وما زحفناش."

الفصل الثامن: سقطة الضوء

ازدادت شعبية سليم في الجامعة. ورش الكتابة أصبحت أكثر تنظيمًا، ومقالاته في المدونة صارت تُشارك على صفحات طلابية. أصبح لديه جمهور صغير، ينظر إليه بإعجاب. ولكن، حيث يوجد الضوء... يوجد من يحاول إطفاءه.

في أحد الأيام، وصله بريد إلكتروني من إدارة الكلية:

"السيد سليم محمد، تم وقف جميع أنشطة الورش الثقافية الخاصة بكم لحين التحقيق في شكوى تقدم بها أحد الطلاب حول محتوى غير مناسب تم تداوله في الجلسات."

كانت صدمة.

اتضح لاحقًا أن أحد زملائه – من أولئك الذين شعروا بالتهديد من صعوده – قام بإرسال مقطع مجتزأ من مناقشة داخل الورشة، يظهر فيها سليم يتحدث عن "الخذلان في العلاقات الدينية والاجتماعية"، وفسّرها البعض على أنها تطاول على قيم مجتمعية.

تم تجميده. سُحبت منه الورشة. توقفت المدونة. حتى الدكتور شاكر، رغم احترامه له، لم يستطع الدفاع عنه علنًا.

سليم دخل في صمت طويل. جلساته القليلة صارت بلا طعم. لم يكن يحزن فقط على ما فَقَد، بل على ما كشفه هذا الفقد: أن الكلمة، وحدها، لا تصنع لك مكانة ثابتة في عالم هش.

بدأ يعمل ليلًا في مقهى صغير في وسط البلد، ليغطي مصاريفه. ومن هناك... شاهد عالَمًا آخر.

زبائن يدخلون ويخرجون. صغار التجار، باعة ملابس، شحن، توصيل، بيع جملة... وسمع كثيرًا من الحكايات: كيف بدأ فلان بـ500 جنيه وانتهى بمعرض. كيف كان فلان يفترش الرصيف، ثم صار يملك كشكًا، ثم محلًا.

وفي إحدى الليالي، بعد أن خدم رجلًا ستينيًا يدعى "عم حمدي"، جلس الرجل بجانبه وقال:

"إنت مش وش كوبايات يا ابني... إنت عندك دماغ، بس شكلك اتلدغ من المثقفين."

ضحك سليم لأول مرة منذ أيام.

"وأعمل إيه؟"

"ابدأ زينا... بيع حاجة. حتى لو على باب الجامعة. وابقى خليك فاكر: التجارة مش حرام، ولا عيب، ولا ضد الثقافة."

في تلك الليلة، عاد سليم للبيت يحمل فكرة لا تشبه ما كتبها من قبل.

فتح دفترًا جديدًا. وعلى الصفحة الأولى كتب:

"مش لازم أكون مشهور. ولا حتى مسموع. كفاية أكون واقف على رجلي، في حتة بتاعتي... ولو كانت متر ونص. دي البداية الجديدة."

الفصل التاسع: السوق لا يرحم

بدأ سليم من أبسط نقطة: فكرة.

لم يكن يملك رأس مال، ولا علاقات، ولا حتى خبرة حقيقية. لكنه امتلك شيئًا لم يكن يشعر بوجوده من قبل: الرغبة في البقاء واقفًا على قدمه دون أن ينتظر من يمد له يدًا.

جلس مع عم حمدي ليلة كاملة، يسأله عن كل شيء. كيف يبدأ مشروع صغير؟ ما الأنواع الرائجة؟ ما الذي يحتاجه طالب جامعة يبيع داخل محيط محدود؟ عم حمدي لم يبخل عليه، لكنه حذره أكثر من مرة:

"خد بالك، السوق لا يرحم. مش زَيّ الكتابة. السوق ما بيكذبش... وبيفضح بسرعة."

اختار سليم أن يبدأ بمنتج بسيط: إكسسوارات يدوية للطلبة. حظي ببعض الدعم من نهى، التي ساعدته على تصميم أشكال تناسب البنات والشباب، كما قدمت له فكرة تغليف بسيطة بورق بني يحمل ملصقًا مكتوبًا عليه: "صُنع بحُلم."

استدان من عم حمدي مبلغًا صغيرًا، واشترى المواد. وفي أول أسبوع، جلس على الرصيف المقابل للجامعة، فرش قماشة بيضاء، ورتب عليها بضاعته.

مرّ نصف اليوم دون أن يشتري منه أحد. بل وبعضهم نظر إليه بسخرية. ومنهم من همس ساخرًا: "مش ده اللي كان عامل فيها شاعر؟"

وفي لحظة ضعف، كاد سليم يلم أغراضه ويعود.

لكنه تراجع.

وفي آخر النهار، اشترت منه فتاة ثلاثة أساور دفعة واحدة. ابتسمت وقالت: "شكلهم حلو... وفكرتك أحلى."

عاد سليم ذلك اليوم مرهقًا، لكن بداخله بذرة جديدة تنبت. ليس لأنه باع، بل لأنه لم يهرب.

في الأسابيع التالية، تحسّن دخله قليلًا. تعلّم من كل حركة في السوق. عرف أن لا أحد ينتظر أحدًا، وأن التسويق أهم من الجودة أحيانًا، وأن الثقة تُشترى كما تُصنع.

لكنه لم يسلم من العقبات...

في أحد الأيام، جاءت إدارة الجامعة وطالبته بإزالة البضاعة، بحجة "منع البيع العشوائي أمام الكلية." وفي يوم آخر، أُتلفت بعض أغراضه بفعل مطر مفاجئ، وكاد يخسر كل ما جمعه. بل إن زميلًا قديمًا حاول السخرية منه أمام الآخرين، قائلًا:

"كاتب فاشل، وتاجر فاشل... لسه فاكر نفسك بطل رواية؟"

لكن سليم هذه المرة لم ينكسر. رد بهدوء، دون أن يرفع صوته:

"أنا مش بطل رواية... أنا راجل بيكتبها، سطر بسطر، بخسايره قبل مكاسبه."

وفي مساء أحد الأيام، جلس مع نهى في المقهى.

نهى: "حاسس إنك اتغيّرت." سليم: "أنا بس شُفت الحقيقة، من غير فلتر. السوق، البشر، أنا نفسي... وكلهم كانوا أصعب مما توقعت." نهى: "بس لسه واقف." سليم: "وكل يوم بوقع... بس بحاول أقف من تاني، مش عشاني أطلع فوق، لأ... عشان ما أرجعش تحت."

ابتسمت. ولأول مرة، شعر سليم أن هناك من يفهمه دون أن يطلب ذلك.

في نهاية الفصل، يكتب سليم على ورقة صغيرة، يضعها في جيبه كل يوم:

"أنا مش بتاجر بس، أنا بعلّم نفسي قيمة التعب. مش علشان أغيّر العالم، بس علشان أعيش فيه وأنا راسي مرفوعة."

الفصل العاشر: عرق الطريق

كل صباح، كان سليم يستيقظ قبل الشمس. يحمل حقيبته التي فيها بضاعته القليلة، ودفترًا صغيرًا يدوّن فيه كل شيء: المصاريف، المبيعات، التعليقات، وحتى الشتائم التي يتلقاها أحيانًا.

السوق كان قاسيًا. ليس لأنه مزدحم، بل لأنه لا يعترف بالنيات الطيبة.

في أحد الأيام، قرر أن يوسّع نشاطه. ذهب إلى "وكالة البلح" واشترى بعض الأقمشة، قرر أن يصنع منها حقائب بسيطة. ساعدته خالة نهى، التي كانت تعمل في الخياطة. أمضى ليلتين في القصّ والتجربة والتعديل. لكن حين عرض الحقائب للبيع لأول مرة، لم ينبهر أحد.

بعضهم قال: "شكلها بلدي." وآخر: "بكام؟! ده أنا أجيب شنطة برند بسعرها."

جلس في آخر اليوم، على الرصيف، ينظر إلى الحقائب وكأنها أولاده، لا أحد يريدهم.

كتب في دفتره:

"أنا اللي كنت فاكر إن الناس هتشوف المجهود، بس نسيت إن الناس بتدور على الشكل مش العرق."

العزلة كانت تتسلل إليه من جديد. أصدقاؤه القدامى ابتعدوا. حتى نهى بدأت تتأخر في الرد على رسائله. كانت مشغولة، بالطبع، لكنها لم تكن كما كانت.

وفي ليلة مطيرة، وهو عائد من الموقف، تعثر وسقط. تطايرت الحقائب في الطين، وتلطخت كل قطعة صنعها بيده. جلس على الرصيف، مبللًا، مهزومًا، وبدأ يبكي. ليس على الحقائب، بل على نفسه. على حلمه الذي بدا وكأنه يهينه كل يوم.

في اليوم التالي، لم يذهب للجامعة، ولا للسوق. ظل في غرفته، صامتًا.

ظهرت أمه فجأة، دخلت دون أن تطرق، وقالت:

"هو إنت فاكر إن الرجالة ما بيقعوش؟... الرجالة بيقعوا، بس الرجولة إنك تقوم حتى لو ما حدش شافك."

ثم وضعت له كوب شاي، وخرجت.

تلك الكلمات اخترقت شيئًا بداخله.

في المساء، أعاد ترتيب الحقائب. غسلها، ونظّفها واحدة واحدة، وهو يسمع أغنية قديمة تقول:

"اللي عاش في الحلم، لازم يدفع تمنه... حتى لو الحلم، ما كانش بيسمع له."

وفي اليوم الذي يليه، عاد سليم إلى الرصيف.

لكنه لم يعد كالسابق.

علق لافتة صغيرة فوق بضاعته مكتوب عليها بخط إيده:

"كل قطعة هنا وراها قصة... ووراي أنا كمان، قصة لسه بتتكتب."

وبدأ من جديد. بلا ضجيج. بإصرار لا يرى فيه أحد، لكنه يسمعه كل ليلة وهو ينام.

الفصل الحادي عشر: الزائر

في ظهيرة يوم خريفي خانق، بينما كان سليم ينظم بضاعته، اقترب منه رجل في منتصف الأربعين، يرتدي بدلة أنيقة ونظارة سوداء.

"إنت سليم؟"

نظر سليم إليه بتوجس: "أيوه... خير؟"

"أنا فؤاد السيوفي... يمكن الاسم ما يعرفكش، بس إحنا متابعينك."

تجمدت تعابير سليم.

"متابعيني؟ مين أنتم؟"

"أنا ممثل عن شركة استثمار صغيرة بندوّر على شباب عندهم أفكار جديدة... وكنت مرشح من شخص كان شايفك من بعيد. شخص قال إنك مش مجرد بائع... لكن صانع طريق."

ظلّ سليم صامتًا، لا يصدق ما يسمعه.

"ممكن نعمل اجتماع، نتكلم عن فكرتك، وندرس إزاي نحولها لبراند حقيقي. لو عندك تصور واضح طبعًا."

انصرف الرجل، وترك بطاقة شخصية أنيقة.

سليم ظل ممسكًا بها طويلًا... لا يعلم، أهو الحظ؟ أم فخ جديد؟

في نفس الليلة، عاد سليم إلى المنزل، مفعمًا بالحيرة والقلق.

فتح حاسوبه القديم، وبدأ في كتابة مسودة أول خطة مشروع حقيقية في حياته:

"علامة تجارية للأكسسوارات والحقائب اليدوية، قائمة على القصص الإنسانية وراء كل منتج."

لم يكن يعرف كيف تُكتب الخطط، لكنه كتب بصدق، وبحُلم.

اليوم التالي، كان كارثيًا.

ذهب ليقابل فؤاد في مقر الشركة، حيث استقبله موظف بارد، جعله ينتظر ساعة كاملة.

ثم دُعي للدخول إلى غرفة باردة فيها ثلاثة رجال، من بينهم فؤاد.

بدأوا يطرحون أسئلة سريعة:

"فين دراستك للسوق؟ فين خطة التمويل؟ مين الموردين؟"

سليم حاول الرد، لكنهم قاطعوه أكثر من مرة.

ثم قال أحدهم بابتسامة ساخرة:

"إنت عايزنا نحط فلوسنا في شاب بيبيع شنط على الرصيف؟ انت ابن مين؟"

لم يجب سليم.

فقال فؤاد بنبرة هادئة، لكنها حادة:

"مشكلتك يا سليم إنك عاطفي... والعاطفة ما بتكسبش فلوس."

خرج سليم من المكتب بخطوات ثقيلة.

صوته الداخلي كان يصرخ:

"أنا مش ناقص شهادة منكم... أنا ببني شهادة لنفسي كل يوم، برصيف وعرق وناس بيقولولي لأ."

لكنه رغم الخيبة، لم يكن كما كان.

لأول مرة، عرف أن هناك لغة يتحدث بها رجال المال...

لغة لا بد أن يتقنها، إن أراد أن يدخل السوق كبيرًا، لا هامشيًا.

في تلك الليلة، التحق بكورس مجاني على الإنترنت في التسويق وإدارة المشروعات.

وبدأ، على استحياء، يفكر في تعلم الإنجليزية لأول مرة بجدية.

كتب في دفتره:

"سقطت؟ آه. لكن عرفت إن السقوط مش نهاية، هو بس كشف لنقص في جناحاتي... واللي عايز يطير، لازم يبني ريشه بنفسه."

الفصل الثاني عشر: وجه في المرآة

في نهاية أحد الأيام، وبينما كان سليم يرتب بضاعته المتواضعة استعدادًا للانصراف، لمح على الجانب الآخر من الرصيف ليلى، تقف أمام الكلية. لم يرها منذ شهور. كانت تتحدث مع شاب طويل أنيق، يضحك بصوتٍ مرتفع وهي ترد الضحك بابتسامة... تلك الابتسامة التي كانت تحطّمه يومًا.

حاول أن يدير وجهه، لكن خطواتها اقتربت.

"سليم؟!"

توقف الزمن.

"مش مصدقة... إنت فعلاً اللي بتبيع هنا؟!"

قالتها ونظرة استغراب واضحة في صوتها، وإن كانت مموهة بابتسامة مجاملة.

"أيوه، ليه مستغربة؟"

قالها بهدوء، دون أن ينظر في عينيها.

"لا لا... بالعكس... بس... يعني، كنت دايمًا ساكت في المحاضرات، وكنّا بنفتكرك مثقف كده... مش تاجر شنط."

كلماتها لم تكن جارحة بقدر ما كانت كاشفة.

كان بداخلها شيء من الشفقة، لكنها لم تكن شفقة حقيقية... كانت أشبه بمطرقة خفية تضرب كبرياءه بصمت.

قال لها بابتسامة باردة:

"المثقف ممكن يبقى جعان، لكن الجعان مش لازم يبقى جاهل."

لم ترد، فقط نظرت إليه لحظة، ثم انصرفت.

عاد سليم إلى البيت تلك الليلة محطمًا.

دخل غرفته، وأطفأ النور. جلس أمام المرآة، وظل يحدق في وجهه:

"أنا مين؟ اللي بيبيع في الشارع؟ ولا اللي كان بيكتب شعر؟ ولا اللي بيحلم يبقى صاحب براند؟"

الصوت بداخله لم يجب، بل زاد الصمت ثقلاً.

وفي اليوم التالي، في الجامعة، بدأ يلاحظ النظرات.

زميل قديم يسأله ساخرًا: "بكام الشنطة دي؟ مناسبة لعيد ميلاد أختي؟"

وأخرى تضحك مع صديقتها وهي تشير نحوه خلسة.

كان يمكن أن ينكسر من جديد.

لكنه لم يفعل.

ذهب إلى أقرب مكتبة، واشترى دفترًا جديدًا، وكتب عليه:

"خطة التحرر."

قرر أن يكتب فيه يوميًا كل ما يشعر به، ويرد على كل من يهاجمه بكلمات لن تُقال، لكنها ستُكتب... وستتحول، ذات يوم، إلى قوة لا تُرد.

في إحدى الليالي، وهو جالس وحده في المقهى، اقترب منه أحد عمال المكان:

"أنا متابعك بقالك شهور، بشوفك بتبيع هنا وهناك... عندي مكان صغير ممكن تستأجره وتعرض فيه حاجتك... بدل التعب ده كله."

تفاجأ سليم، لكنه شكر الرجل، وطلب منه تفاصيل.

وفي تلك الليلة، نام سليم لأول مرة وفي قلبه شعور غريب:

أن هناك من يرى مجهوده، حتى لو لم يكن يصفق له.

الفصل الثالث عشر: أول حجر في الطريق

في صباح رمادي، خرج سليم مبكرًا ويده تمسك بورقة صغيرة كتب فيها عنوان المكان الذي أخبره به عامل المقهى. كانت غرفة ضيقة في شارع جانبي متفرع من ميدان مزدحم، بابها حديدي متهالك، ونوافذها مغبرة.

لكنها كانت فرصة.

فرصة صغيرة، لكنها كافية لتُحدث فرقًا.

دفع إيجار شهر مقدم، وبدأ ينظف المكان بنفسه:

كنس، مسح، إصلاح الباب، دهان الحائط، وتركيب رفوف خشبية بسيطة.

في كل خطوة، كان يشعر أن قلبه يُرمم معها.

لم يخبر أحدًا، لا أمه، ولا نهى، ولا حتى زملاءه.

كان يريد أن يُتمّ البناء أولًا، ثم يتحدث.

بعد أسبوع كامل من العمل، فتح سليم المحل الصغير.

سمّاه: "حكاية شنطة."

كتب تحت الاسم:

"كل قطعة هنا اتولدت من لحظة... من خوف، من حلم، من عزيمة."

في البداية، لم يكن هناك زبائن.

جلس على الكرسي الخشبي الصغير يراقب الناس تمر أمامه كأنهم لا يرونه.

لكن في اليوم الثالث، دخلت سيدة خمسينية أنيقة.

تفقدت الحقائب، سألت عن الأسعار، ثم قالت:

"إنت اللي بتصنعها؟"

"أيوه، بإيدي."

"واضح من التفاصيل... شغلك فيه روح."

اشترت حقيبة، وخرجت.

كانت تلك أول بيعة حقيقية داخل المحل.

كتب في دفتره:

"أول جنيه في طريق جديد... مش بس ثمن حقيبة، ده تصويت ثقة من غريب آمن بيا."

بدأ سليم يصمم بطاقات صغيرة يضعها داخل كل حقيبة، تحكي قصة قصيرة عن اللحظة التي وُلدت فيها.

بعض الزبائن بدأوا يشاركون الصور على السوشيال ميديا، ومع الوقت بدأ الاسم "حكاية شنطة" يظهر بخجل على صفحات صغيرة تهتم بالمشروعات المحلية.

ثم في مساء بارد، تلقى رسالة من نهى:

"سمعت عن مشروعك... فخورة بيك. أنا اشتريت شنطة من محل في الزمالك ولقيت فيها ورقة مكتوب فيها اسمك. دمعت. ربنا معاك يا سليم."

لم يرد، فقط ابتسم.

في كل صباح، كان يفتح المحل، يشغل إذاعة القرآن بصوت خافت، ويرتب بضاعته.

ثم يقف أمام اللافتة لحظات، يتأملها... كما يتأمل المرء اسمه بعد نجاته من الغرق.

لم يكن الغنى قد جاء بعد، لكن لأول مرة منذ سنوات، شعر سليم أنه يصنع وجوده بيده، لا بانتظار نظرة من أحد.

الفصل الرابع عشر: أول عثرة

مرّ أسبوعان على افتتاح "حكاية شنطة"، وكان الحماس لا يزال يسري في عروق سليم كالكهرباء، لكن المدينة لا تترك الحالمين دون امتحان.

في أحد الأيام، وبينما كان سليم ينظف واجهة المحل، جاء إليه رجل ضخم البنية، وجهه خشن، ونبرة صوته حادة:

"إنت سليم؟"

"أيوه."

"المحل ده فاتح من غير تصريح. لازم تدفع غرامة، أو نقفله."

تجمد سليم.

لم يكن يعلم شيئًا عن التراخيص، أو رسوم التشغيل.

"طب ممكن أقدم الطلب دلوقتي؟ أصل لسه فاتح..."

"دي مش مشكلتي. اللي فاتح بدون أوراق يدفع، أو يتقفل عليه."

أُمهِل ثلاثة أيام لتسوية الوضع، أو الإغلاق.

توجه سليم في اليوم التالي إلى الحي، دار بين المكاتب كمن يلاحق دخانًا.

"هات صورة البطاقة، وعقد الإيجار، وإثبات سداد الكهرباء."

"بس الكهربا باسمي أنا مش باسم صاحب المحل."

"يبقى لازم تغيير الاسم."

كل ورقة كانت تُولد عشر أوراق أخرى.

وفي النهاية، عرف أن عليه دفع مبلغًا كبيرًا نسبيًا كـ "رسوم تأخير"، لم يكن يملكه.

عاد إلى المحل، وجلس على الكرسي الخشبي... ضائعًا.

في نفس الليلة، دخل عليه شاب اسمه شريف، كان زميله قديمًا في الجامعة، يعمل الآن في التسويق الإلكتروني، وقال له:

"سمعت إنك فتحت مشروع؟ عامل شغل حلو، بس لازم تشتغل على نفسك أكتر، السوق مليان، والناس ما بترحمش."

جلس معه ساعة كاملة، وبدأ يشرح له مفاهيم جديدة:

تحليل السوق.

بناء هوية بصرية.

استهداف الزبائن مش بالمنتج، لكن بالقصة اللي وراه.

سليم استمع كمن يُولد من جديد.

لكنه سأل في النهاية:

"كل ده حلو، بس أنا حتى مش قادر أدفع الغرامة... أعمل إيه؟"

ابتسم شريف، وقال:

"ابدأ بحملة بسيطة على السوشيال ميديا، تحكي فيها عن قصتك. الناس بتحب تشوف العرق والصدق. واللي يصدق فيك... ممكن يدفعلك."

في اليوم التالي، صوّر سليم فيديو بسيط، وهو واقف داخل المحل، يحكي عن حلمه، وسقوطه، ومحاولته للبداية من جديد.

لم يطلب مالًا، فقط حكى.

لكنه ختم الفيديو بجملة:

"أنا مش عايز اتهم حد، أنا عايز اللي يؤمن بيا يشتري مني."

رفع الفيديو... وأغلق الهاتف.

بعد ساعات، عاد ليتفقد التعليقات.

المفاجأة؟ الفيديو بدأ ينتشر.

تعليقات داعمة، طلبات شراء، ورسائل تشجيع.

وفي المساء، جاءه أول طلب من عميلة من الإسكندرية:

"عايزة شنطتين، وهبعتلك العربية على حسابي. ربنا يوفقك."

كتب في دفتره:

"وقعت أول مرة، وسكت.

وقعت تاني، فـ حكيت.

ويمكن الحكاية كانت سلّم مش حفرة."

الفصل الخامس عشر: السكون الذي يسبق

فتح سليم باب "حكاية شنطة" صباحًا، فاستقبلته رائحة جلد جديد، وضوء خفيف يتسلل من بين الستائر المهترئة، كأن الشمس نفسها قررت أخيرًا أن تقف في صفّه.

مرت أسابيع، والمحل بدأ يتحول إلى نقطة مضيئة في الحي.

الطلبات صارت يومية، بعضها يأتي من محافظات بعيدة، وبعضها من شخصيات مؤثرة تتابعه على السوشيال ميديا.

دخلت امرأة ترتدي نظارة شمس فاخرة ذات يوم، وقالت له بابتسامة:

"أنا من مكتب تصميم داخلي... وعاوزين نعرض شنطك كجزء من ديكور فندق صغير بنجهزه في دهب. ممكن نشتري منك بالجملة؟"

لم يصدق أذنيه.

توالت الفرص.

بنك محلي طلب لقاءً لتصويره ضمن حملة "رواد الأعمال الشباب".

مركز تدريب اقترح أن يُقيم ورشة عمل لصناعة الحقائب اليدوية.

أصبح سليم، بين ليلة وضحاها، اسمًا متداولًا في الدوائر الصغيرة والمتوسطة.

حتى جارته العجوز، التي كانت تنهره دومًا لصوته العالي، جاءت إليه ذات يوم وقالت:

"هاتلي شنطة لبنت أختي... بس اعمل خصم للعشرة اللي بينا."

وضحكا.

لكن، وسط كل هذا، كان هناك شيء غريب.

الهاتف لا يتوقف عن الرنين، الطلبات تتزايد، المحل لا يخلو من الزوار...

لكن سليم بدأ يشعر أن كل شيء يسير بسهولة زائدة.

كأن الريح التي طالما عاندته... تدفعه الآن بلا تفسير.

في إحدى الليالي، وهو يعدّ الإيراد، توقف فجأة.

شعر بقشعريرة تسري في جسده، دون سبب.

نظر حوله... لا شيء.

المحل كما هو.

الحياة كما هي.

لكنه، لوهلة، شعر أن هناك عينًا ما تراقب، أن هناك شيئًا خفيًا يتحرك خلف ستار النجاح.

في اليوم التالي، استلم طردًا لم يطلبه.

صندوق صغير، دون عنوان مرسل.

فتحه... فوجد بداخله قطعة جلد سوداء، منقوش عليها اسمه: "سليم".

لا ملاحظة.

لا تفسير.

جلس ليلًا يكتب في دفتره:

"كل شيء يتحرك للأمام، كأنني على قطار سريع بلا مكابح.

لا مطبات، لا عثرات...

فقط هدوء مُريب، أشبه بسكون البحر قبل العاصفة."

الفصل السادس عشر: نعمة لا تُفسَّر

الشارع أمام "حكاية شنطة" صار يعرف اسم سليم.

البائعون الجائلون يلقون عليه التحية، أصحاب المحال المجاورة ينظرون له باحترام غامض، وكأنهم شهدوا على معجزة لم يُسجّلها أحد.

المال لم يعد أزمة.

سليم بدأ يوزع الطلبات باستخدام دراجة نارية جديدة اشتراها، وعين أول عامل ليساعده في ترتيب البضائع.

ثم فاجأ والدته ذات صباح بشقة جديدة في حي هادئ، بعقد تمليك دفعه دفعة واحدة.

كل شيء يتقدّم بخطى واثقة.

لكن الغرابة بدأت تتسلل في التفاصيل.

كل مرة يتأخر في دفع الإيجار، يجد أن المالك نسي أن يطالبه.

كل موظف يقابله في المصالح الحكومية يعامله بلطف غير مألوف.

صفحة مشروعه على الإنترنت تنمو بأرقام لا تتوافق مع حجم الإعلانات.

في أحد الأيام، اتصل به متجر كبير من المولات المشهورة:

"عاوزين نعرض منتجاتك عندنا، وهنخليلك ستاند خاص بإسم البراند بتاعك."

سليم سألهم بدهشة:

"عرفتوا عني إزاي؟"

"في حد رشحك، بس معنديش اسمه، كانت رسالة إلكترونية بدون توقيع."

في الليل، جلس سليم يتفقد دفاتره.

الأرقام ترتفع، الطلبات تتضاعف، كل شيء في صالحه.

لكنه لم يشعر بالطمأنينة.

بل بشيء أقرب إلى القلق... أو الترقب.

في أحيان متفرقة، كان يشعر بوجود شخص خلفه في المحل، يلتفت فلا يجد أحدًا.

وفي أوقات أخرى، حين يغلق الباب ليلاً، يسمع صوتًا خافتًا وكأنه تنفس ثقيل خلف الجدار.

لكنه لم يجد شيئًا.

نهى، التي عادت تتحدث معه مؤخرًا، سألته مرة:

"إنت مبسوط؟ شكلك ناجح جدًا، بس... في حاجة مش مفهومة في صوتك."

ردّ بهدوء:

"أنا تمام... أكتر من تمام. بس في حاجة مش عارف ألمسها، مش عارف أفسّرها."

ذات ليلة، وبينما كان يُغلق المحل، وجد على العتبة وردة سوداء، ملفوفة بشريط من الجلد الناعم.

لم تكن هناك رسالة.

ولا أحد مرّ أمام المحل طوال اليوم، بحسب العامل.

نظر سليم إلى الوردة طويلاً، ثم أخذها إلى الداخل، ووضعها في صندوق صغير، بجانب قطعة الجلد التي نُقش عليها اسمه من قبل.

كتب في دفتره:

"النجاح مفروض يكون مكافأة...

لكن ليه حاسس إنه لغز؟

وليه كل يوم بحس إني في حلم... هشّ، مش حقيقي؟"

المحل يزدهر. الناس تبتسم. المال يأتي.

ولا شيء... يُفسَّر.

الفصل السابع عشر: اليد التي لا تُرى

بدأت ملامح النجاح تترسّخ أكثر من أي وقت مضى.

مجلة إلكترونية متخصصة في ريادة الأعمال نشرت مقالًا بعنوان:

"من طالب منسي إلى صاحب علامة مميزة: قصة صعود سليم."

لم يجرِ أي مقابلة. لم يتحدث مع أي صحفي.

ومع ذلك، المقال احتوى تفاصيل دقيقة عن بداياته، عن أول رسالة كتبها، عن قطعة الجلد التي نقش عليها اسمه.

تفاصيل لم يخبر بها أحد.

قرأ المقال عدة مرات، ثم أغلق هاتفه وبقي جالسًا في صمت.

فتح فرعًا ثانيًا.

دون أن يسعى، جاءه عرض إيجار في موقع ممتاز بسعر غير منطقي.

قال له الوسيط:

"المكان دا اتقفل من شهور، واللي عنده عقده اتنازل فجأة وقال نديك إنت الأولوية."

لم يشكُ من نقص أي شيء: لا في المال، لا في العمال، لا في الخامات.

كل ما يحتاجه... يتوفر قبل حتى أن يطلبه.

بدأ يشعر كأن هناك من يزيل الحجارة من طريقه قبل أن تطأ قدمه الأرض.

في صباحٍ ناعم، وجد أمام باب المحل مغلفًا بنيًا صغيرًا.

داخله:خريطة مطبوعة لمدينة قديمة، لا يعرفها.

صورة قديمة له... في عمر العاشرة، في مكان لا يتذكر أنه زاره.

لا اسم.

لا توقيع.

نظر حوله.

الشارع كعادته: مزدحم، لا أحد يبدو مهتمًا به.

لكن سليم شعر أن هذه المرة مختلفة.

الغموض لم يعد خافتًا، بل يتسلل إلى يومه العادي، إلى صباحاته التي كانت يومًا روتينية.

في أحد الليالي، وهو يغلق المحل، وجد الوردة السوداء قد ذبلت، رغم أنه وضعها في ماء.

لكن رائحتها... كانت لا تزال قوية.

قوية جدًا، لدرجة أنها غلّفت أنفه طوال الليل، كأنها تسكن رئتيه.

كل شيء كان جيدًا.

لكنه لم يكن طبيعيًا.

كان يشعر أحيانًا وكأن الزمن نفسه يُعاد تشكيله حوله، كأن الأيام لم تعد تُقاس بالساعات، بل بالأحداث التي لا تُفسَّر.

أحد العملاء ترك له ملاحظة داخل إحدى الحقائب:

"مش كل نجاح طبيعي، ومش كل دعم بريء. بس مش دا وقت الأسئلة."

جلس في شقته الجديدة ليلًا، يحدّق في السقف.

كل ما حوله يدعو للراحة:

أثاث أنيق، رائحة القهوة في المطبخ، ضوء أباجورة دافئ، دفتر ملاحظاته مفتوح على الطاولة...

لكن في قلبه، حفرة صغيرة لا تمتلئ.

وفي عقله، علامة استفهام لا صوت لها... لكنها لا تختفي.

كتب في الدفتر:

"كل شيء في محله.

لكن قلبي ليس في محله.

وأخاف أن أكون أعيش في قصة كتبها غيري... وينتظر فقط أن ينهيني."

الفصل الثامن عشر: الصوت خلف الباب

استيقظ سليم في منتصف الليل، دون سبب واضح.

الساعة تشير إلى الثالثة وسبع دقائق، والضوء الخافت في الممر ما زال يعمل، كما تركه.

لكن قلبه كان يخفق بشدة.

كأن أحدهم أيقظه... لا حلم، لا كابوس، فقط إحساس بالاستدعاء.

نهض بتردد، فتح باب غرفته ببطء.

الهواء في الشقة ساكن، كل شيء في مكانه.

إلا باب الشرفة، كان مفتوحًا... رغم أنه متأكد أنه أغلقه.

اقترب وأغلقه، ثم التفت ليرى شيئًا جديدًا على الطاولة:

دفتر ملاحظاته، مفتوح على صفحة لم يكتبها.

السطر الوحيد فيها كان:

"الحقيقة لا تُخفي نفسها، لكنها تنتظر اللحظة المناسبة لتظهر."

قلب الصفحة، فارغة.

راجع خطه... لم يكن خطه.

في اليوم التالي، بينما كان في المحل، دخل شاب نحيل، لا يبدو مألوفًا، لكن فيه شيء غريب.

طلب حقيبة معينة، ثم قال له دون مقدّمات:

"إنت عامل شغل ممتاز.بس قولّي... عمرك فكّرت لو ده كله مش من مجهودك؟"

سليم ابتسم بتوتر:

"أقصد؟"

"ولا حاجة... مجرد سؤال فلسفي."

ثم غادر دون أن يشتري شيئًا.

مع نهاية اليوم، اختفى الطلب الذي كان يجب أن يوصله لأحد العملاء المهمين.

بحث عنه في كل مكان، لم يجده.

أعاد فتح المخزن، تفقد الكاميرا، لكنه وجد التسجيل ممسوحًا بين الساعة 1:15 و1:30 ظهرًا، وقت دخوله للمخزن.

سجّل هذا الحادث في الدفتر، لأول مرة لا يقدر على تبريره بوضوح.

و في الليل، حلم حلما غريبًا:

كان يقف في شارع مظلم، لا فيه محلات، ولا ناس، فقط صوت خطوات خلفه.

وحين التفت... لم يرَ أحدًا.

لكنه شعر بيد توضع على كتفه، وصوت أنثوي يقول:

"احذر يا سليم... مش كل باب يُفتح يستحق أنك تمشي فيه."

استيقظ متعرقًا.

كتب في دفتره:

"النجاح بدأ يتنفس بصوت مختلف...

وشيء ما يقترب، لا أراه، لكنّي أسمعه... خلف الباب."

الفصل التاسع عشر: وجوه تتبدل

مرت أيام قليلة منذ الحلم الأخير، وسليم يحاول أن يتجاهل... أن يقنع نفسه بأن عقله المتعب يفتعل الخوف.

لكن التفاصيل الصغيرة بدأت تتآكل كالأطراف المحترقة.

في صباحٍ عادي، أثناء دخوله المحل، وجد اللافتة مائلة.

ليس الريح، فالشارع ساكن، وكل شيء حوله ثابت.

رفعها مجددًا، لكنه لاحظ شيئًا جديدًا:

الطلاء على أطراف الحروف أصبح باهتًا، كأن الاسم يشيخ فجأة.

في ذلك اليوم، تأخر أول عميل.

ثم الثاني، ثم الثالث.

وفي المساء، تلقى رسالة من الشركة التي كانت تروّج لمنتجاته في المول:

"نأسف لإبلاغك أننا نُغلق الستاند مؤقتًا بسبب صيانة، ونراجع العقود لاحقًا."

لم تكن الرسالة صادمة، بل باردة... غامضة كأنها لا تريد أن تشرح.

نهى، التي أصبحت تزوره كثيرًا، بدت مختلفة هذا اليوم.

جلست صامتة لدقائق، ثم قالت فجأة:

"سليم... انت متغيّر."

"متغير إزاي؟"

"كأنك مش هنا، كأنك بتتفرّج على حياتك من برّا. وبصراحة... في حاجات بتخوف."

حدّق في عينيها، فوجد فيهما شيئًا لم يره من قبل: قلق منه... لا عليه.

في الليل، فتح صندوقه الخشبي حيث يحتفظ بالوردة السوداء، وقطعة الجلد، والصورة.

وجد الوردة قد تحللت بالكامل... لكنها عادت فجأة تفوح برائحة قوية، كأنها ما زالت حيّة.

ووجد بجوار القطعة الجلدية ورقة صغيرة لم تكن موجودة من قبل.

عليها سطر واحد بخطٍ حاد:

"اليد التي ترفعك... قادرة على أن تتركك تسقط."

في اليوم التالي، ذهب لأحد الموردين لطلب خامات جديدة.

قابله الرجل بابتسامة جامدة:

"المخزون خلص... ومافيش طلبات تانية جاية.

وأصلاً ماعرفش مين اللي كان بيوصل لك قبل كده بسرعة كده. كانت حاجات مش طبيعية."

سليم عاد إلى المحل يشعر بشيء أقرب إلى الإفاقة من سُكر النجاح.

في المساء، دخل رجل غريب المحل، نظر إلى الرفوف بتأمل ثم قال:

"مش دايم يا سليم... بس مش لازم تخاف.

بس تعرف؟ أحيانًا النجاح اللي ييجي فجأة... بيكون اختبار، مش مكافأة."

ولمّا سأل سليم عن اسمه... الرجل ابتسم، وخرج دون أن يرد.

جلس سليم وحده في الظلام، لا يكتب، لا يعمل، فقط يسمع...

صوت الصمت... وهو يختنق.

الفصل العشرون: السقوط الأخير... واليقظة

كان المساء ممطرًا.

أمطار خفيفة، لكنها مستمرة، كما لو أن السماء تهمس بشيء لا يفهمه البشر.

في ذلك اليوم، انهارت الأمور فجأة:

تم إلغاء أربعة عقود توريد.

أحد العاملين ترك العمل بلا سابق إنذار، تاركًا رسالة مقتضبة:

"أنا آسف، بس مش قادر أكمل. في حاجات بتحصل مش طبيعية."

زبائن اشتكوا من بضائع فاسدة، رغم أنها خرجت من نفس المخزن المعتاد.

سليم لم يتحدث كثيرًا. جلس في المكتب، يحدق في اللافتة القديمة للمحل.

ونهى جاءت.

لم تتكلم أولًا. فقط جلست أمامه، تنظر في عينيه.

قالت بهدوء:

"أنا عارفة إنك مش مرتاح. وإنت مش لوحدك. في حدّ بيحرك حاجات حواليك... وانت كنت حاسس، بس مش مصدّق نفسك."

سليم ابتلع ريقه.

"مين؟ إزاي؟"

ونهى أخفضت صوتها:

"فاكر الرسالة اللي وصلت ليك زمان؟ اللي فيها ‘ما تبقاش عبء على نفسك’؟

ليلى ما كتبتهاش. أنا اللي كتبتها... بإيدها."

صُدم.

"إيه؟!"

"كنت شايفاك بتغرق في أوهام، وخفت تتعلّق بيها وتتوجّع أكتر... بس اللي حصل عكس ده تمامًا. كأنك تولّدت من الجرح."

وفي تلك اللحظة... دخلت ليلى.

ليلى، الغائبة منذ أعوام، دخلت بثياب بسيطة، وشعر مبلول من المطر.

نظرت إليه نظرة غريبة... مزيج من اعتراف، وشفقة، وشيء يشبه الندم.

قالت:

"أنا كنت شايفاك دايمًا... بس بخاف من اللي مش مفهوم.

بس في حدّ كان شايفك أكتر مني، حدّ قربلك من بعيد، وشال عنك كتير من غير ما تعرف."

سليم التفت لنهى ببطء.

ونهى أومأت.

نهى كانت هي "اليد التي لا تُرى".

هي من رشّحته سرًا في الصحف.

هي من حركت أول شبكة دعم من صديقة لها في السوق.

هي من كانت تراقب توازن نجاحه بصمت، تخاف عليه من السقوط، ثم ابتعدت حين شعرت أنه تجاوز نقطة الحاجة لها.

قالت له:

"أنا ما كنتش عايزاك تحس إنك مديون لحد... بس يمكن اتأخرت لما كل حاجة كانت بتتفك."

سليم جلس في صمت طويل.

ثم ضحك... ضحكة خافتة، مرتعشة.

"أنا كنت فاكر إني في قصة مش بتاعتي... بس يمكن، من البداية، القصة دي بتكتبها الناس اللي كانوا حواليا، بس من بعيد."

ثم نهض.

"المحل ده ممكن يقع... بس أنا لأ.

أنا كنت صفر... وكنت حلم... ودلوقتي بقيت نقطة بداية تانية."

"هبدأ من جديد. بس المرة دي... بإيدي، وبعقلي، ومعاكم."

وفي الصباح التالي، أزال اللافتة القديمة.

ووضع مكانها لافتة جديدة:

"حكاية سليم"

منتجات محلية، حكايات إنسانية.

نهى إلى جواره، تبتسم بثقة.

ليلى بجانبه، تضع يدها على كتفه، ولأول مرة... تنظر إليه كأنه العالم كله.

ولم يعد هناك غموض.

بل فقط وضوح... تأخر، لكنه جاء

الفصل الحادي والعشرون: الهجر الكبير

مرّ أسبوع واحد فقط على اللحظة التي ظنّ فيها سليم أن العالم قد استقر في كفّ يده.

لكن السكينة خادعة.

ونهى كانت أول من انسحب.

قالت له بهدوء، وهي تغلق باب المحل خلفها:

"أنا كنت هنا عشانك، مش عشان الحلم نفسه.

ولما بقى الحلم أكبر من وجودي... بقيت زيادة."

لم يجادلها.

لكن جُملتها كانت تشبه ضربة خفيفة على ضلع مكسور.

بعدها بأيام، ليلى توقفت عن الظهور.

وحين سأل عنها، وصله رد مقتضب منها عبر رسالة:

"فيه فرق بين إننا نلتقي... وإننا نكمّل.

أنت بقيت أكبر من المساحة اللي كنت فيها... وأنا لسه زي ما أنا."

وحين عاد سليم إلى سريره تلك الليلة... لم يبكِ.

لكنه نام جافًا كالصحراء.

وفي صباح اليوم التالي، نهض كمن قرر أن يتحوّل.

قرر أن لا يجعل أحدًا سببًا لبقائه، ولا لغيابه.

بدأ يوسّع مشروعه بهدوء.

حوّل فرعه الصغير إلى ثلاث فروع في مناطق مختلفة.

ثم أطلق خطًا جديدًا من المنتجات:

تغليف عصري

تسويق إلكتروني

شراكة ذكية مع صغار المنتجين في القرى

كل هذا... دون احتفال.

فقط نتائج تتكلم.

الميديا بدأت تكتب عنه.

"رجل الأعمال القادم من الصفر."

"مشروع 'حكاية سليم' يحتل 20% من السوق الشعبي."

وفي مقابلة مع قناة شهيرة، سأله المذيع:

"إيه أكتر حاجة خسرتها في الرحلة دي؟"

أجابه بهدوء:

"أني كنت فاكر إن الحبّ لازم يكون معايا وأنا طالع...

بس اكتشفت إن النجاح مش دايمًا عادل... بس بيصفيك."

سليم أصبح اسمًا لامعًا.

لكن في داخله... ظل الفراغ جالسًا على كرسي بعيد، يراقب.

ومع كل لافتة جديدة تُعلّق، وكل فرع يُفتتح...

كان يشعر أنه يصعد جبلًا وحيدًا.

لكنه لم يتوقف.

لأنه، ببساطة، أدمن الارتفاع.

الفصل الثاني والعشرون: النضج فوق القمة

لم يعُد سليم يحدّق في اللافتات، أو يبحث عن اسمه في عيون الناس.

هو الآن يعرف من يكون.

لا يحتاج إلى مرآة أو إشادة أو حتى نظرة.

كان يقود مشروعه بهدوء العقلاء، وصرامة الذين عبروا الجحيم ومضوا.

أطلق مبادرة "القرية تنتج".

دعم فيها أكثر من خمسين شابًا من مناطق مهمّشة ليصنعوا ويبيعوا تحت مظلته.

لم يأخذ مقابلًا.

بل قال لهم في أول اجتماع:

"اللي يساعدني أطلع... لازم أساعده يطلع.

النجاح مش نادي مغلق... ده ساحة مفتوحة للي عنده نفس طويل."

في مؤتمرات الاقتصاد، بدأ اسمه يُذكر بجوار رجال الأعمال الكبار.

لكن حين طُلب منه أن يتحدّث عن تجربته، قال فقط:

"أنا مش رائد أعمال... أنا رائد وجع، حولته لحاجة بتتكلم."

كان يجلس في مكتبه ساعات طويلة، لكن قلبه أصبح ساكنًا.

لا أحد يقترب منه جدًا.

لا صداقات كبيرة، لا علاقات متشابكة.

لكنه لم يكن وحيدًا... بل مستقلاً.

وفي أحد الأيام، جاءه عرض شراكة من شركة أجنبية.

أموال، انتشار عالمي، عقود ضخمة.

قرأ كل البنود.

ثم أعاد الأوراق وقال:

"شكرًا... بس أنا مش ببيع حكاية، أنا بكمّلها."

وفي المساء، جلس في الشرفة المطلة على النيل.

يشرب قهوته المرة، يتأمل صمت الليل.

لم يكن ينتظر أحدًا.

ولا يشعر بالنقص.

كان يعلم... أن كل ما ضاع، لم يكن خسارة.

بل كانت كلفة النُضج.

لم يعد سليم بحاجة لأحد...

لأنه أخيرًا أصبح، بما يكفي، كُلّه.

الفصل الثالث والعشرون: في القمّة... وحده

لم يعُد هناك شك.

سليم صار من النخبة.

لكنه لم يبدُ كواحدٍ منهم.

كان مختلفًا... في نظراته، في لغته، وفي حضوره الذي يشبه الصمت العميق قبل العاصفة.

امتلك الآن أربع شركات:

واحدة للأغذية المحلية

ثانية لتوزيع المنتجات في شمال إفريقيا

ثالثة للتدريب وتمويل الشباب

ورابعة للاستثمار في المناطق الريفية

وتحوّلت علامته "حكاية سليم" إلى شعار اجتماعي قبل أن تكون منتجًا.

اشترى فيلا صغيرة على أطراف القاهرة، تصميمها بسيط، تحيط بها أشجار النخيل، ويغمرها الضوء الطبيعي.

لكن غرفة واحدة فقط كانت الأهم:

المكتبة.

تضمّ كتبًا في الفلسفة، الاقتصاد، والكتابة... ودفترًا جلديًا يحتفظ فيه بذكرياته الأولى، والرسائل التي لم يرسلها أبدًا.

دعته رئاسة الجمهورية لحفل تكريم الروّاد في ريادة الأعمال.

ارتدى بدلة داكنة، وربطة عنق رمادية، وجلس في الصف الأول.

وحين صعد إلى المسرح، لم يُلقِ خطابًا ناريًا، فقط قال:

"أنا ما كنتش بحلم أكون غني...

كنت بحلم أبطل أكون محتاج.

وأهو... اتحققت الحاجتين."

أصبح له عمود شهري في مجلة كبرى، يكتب فيه تحت عنوان:

"ملاحظات من رجل كان لا يُرى."

وكانت كلماته تُدرّس في كليات الاقتصاد والاجتماع.

لكنه رغم كل شيء، لم يظهر في حفلات المجتمع، ولا في المقابلات الشخصية.

لم يُعرف عنه ارتباط جديد، ولا صديق مقرّب.

حين سُئل عن ذلك، قال:

"أنا سعيد... بس بطريقتي.

واللي اتربى في الوحدة، يعرف إزاي يحضنها."

وفي أحد المساءات، أرسل إلى نفسه رسالة بالبريد الإلكتروني.

كانت تحوي سطرًا واحدًا فقط:

"لقد وصلت... لكنك لم تفرغ.

وهذه نعمتك الوحيدة."

في القمّة... لا صخب.

لكن من هناك، يرى كل شيء بوضوح.

حتى ظلال ماضيه... تبتسم له الآن.

الفصل الرابع والعشرون: الرسالة

المسرح مكتظ.

جامعة كبيرة دعت سليم لإلقاء محاضرة بعنوان:

"من الظل إلى الضوء"

وقف أمام المئات من الطلاب وأساتذة الاقتصاد، بلا ورقة، ولا عرض شرائح.

فقط نظراته التي تحكي وحدها كل الحكايات.

قال بهدوء:

"كنت بائعًا للحلم، وأنا ماشي حافي.

دلوقتي بمتلك شركة، وساتر ناس، وأكتر من كده... بمتلك نفسي."

سكت لحظة.

ثم تابع:

"أنت مش محتاج تكون غني عشان تكون مهم،لكنك لازم تكون صادق... عشان تكون حقيقي."

التصفيق دوّى في القاعة.

لكن سليم لم يبتسم.

فقط انحنى برأسه، ثم نزل عن المنصة.

في طريقه إلى الخارج، التفت فجأة لأحد الطلاب وسأله:

"اسمك إيه؟"

قال: "جاسر".

فأخرج من جيبه ظرفًا صغيرًا، وقال:

"افتحه بعد سنة. مش قبل كده."

وبعد ثلاثة أيام فقط... اختفى سليم.

اختفى تمامًا.

لا أحد يعرف كيف، ولا إلى أين.

هاتفه مغلق.

كاميرات الفيلا لا تُظهر سوى لحظة دخوله، دون خروجه.

لا عمليات بنكية.

لا سفر مسجّل.

الصحف انفجرت بالعناوين:

"رجل الأعمال سليم يختفي في قمة المجد!"

"هل اختار العزلة؟ أم هناك سرّ لم يُكشف بعد؟"

وبعد عام كامل في بيت صغير الطالب "جاسر" جالسًا على سريره ...

يمسك بالظرف الذي أعطاه له سليم.

يفتحه ببطء...

ثم يقرأ.

عيناه تتسعان...

تسقط الورقة أرضًا، ثم ينهض فجأة، يخرج من غرفته مهرولًا بقلبٍ ينبض سريعاً، يكاد يتعثر في خطواته. الى أين يذهب وما الذي قرأه ولماذا يهرول

نهاية الجزء الأول

ترقب الجزء الثاني من "حكاية سليم":

"الظلّ لا يختفي... بل يعود."

رواية

مصطفى محمد عبدالعزيز نجم

الملخص

الرواية ليست مجرد سرد لمسيرة نجاح؛ بل تحليل عميق لهشاشة الإنسان، وكيف يمكن للجرح أن يصنع طريقاً، وللوحدة أن تكون معلماً، وللنجاح أن يتحول إلى لغز... وربما إلى فخ

9 798232 584474

MARTISTO
Get your design

دار النشر الإلكتروني